منتهى الطلب في معرفة بادية العرب

د. كمال عبدالله حسن
جامعة الانبار – كلية الآداب

المستخلص

ان مصطلح البادية لم يأتي من فراغ، وانما كان حصيلةً للظروف الجغرافية التي سادت منطقة الدراسة. فكان اطلاقه مرتبطاً بنوع المناخ والعادات التي يمارسها السكان كنتيجة لنوع هذا المناخ. وقد كانت هذه التسمية متأصلة منذ اقدم الحضارات والتي حكمت المنطقة، وامتد الى ان ظهرت الدولة العربية الاسلامية، فكانت وليدة هذه الظروف الجغرافية. وما أن بدأ عصر الابداع الجغرافي للجغرافيين العرب والمسلمين حتى بادر هؤلاء الى تبني هذا المصطلح، فمنهم من اثبته وجعله اقليماً قائماً بذاته كالمقدسي، ومنهم من قسّمه بين الاقاليم الاخرى كالإدريسي، ومنهم من اضافه الى اقليم الجزيرة العربية كالاصطخري وابن حوقل. وهو الان يطلق على الجزء الشمالي من الجزيرة العربية، وهو ما يعرف ببادية الشام ومنه ايضاً بادية الجزيرة في العراق.

Abstract

The term desert did not come by arbitrariness. Instead it was a result of Geographic conditions which dominate the study area. It was connected with the kind of climate and the costumes (habits) that were practical by people as a result from the kind of this climate. this naming dates back to the old civilizations that govern the area .it was extended up to the period in which the Islamic state had been appeared .thus, it came out of these Geographic conditions at the time, in which the Geographic creation age of the Arab Geographers started , they firstly began adopting this term. some of them, like Al- Maqdisi, proved it and make it a region standing by it self. others, like Al- Idrisi, divided it between the other regions. some else, like Al- Istakhri and Ibn Howkhal, add it to the region of Arabic Island. now, the northern part of the Arabic Island is called by name desert. And this is known as Al- Sham desert and from it Al- Jaseera desert come.

المقدمة :

كثيرة هي التسميات التي نطلقها على اماكن واشخاص بقصد التعريف بهم. وفي احيان كثيرة يطلق اسمٌ ما على اكثر من مكان، بحيث يحصل معها لبس او تعقيد في تمييز هذا المكان. والبادية هي احدى هذه التسميات التي شاع استخدامها. فنجد عدة مسميّات مثل (بادية الشام– بادية الجزيرة– بادية العرب– البادية– المفازة) تطلق على اماكنٍ عدة وفي مناطق او دول عدة. فما حقيقة هذه التسمية؟ ومن اين جاءت؟ وعلى ماذا تطلق؟ وماذا تضم في طياتها؟ من اماكن كانت بمثابة معالمها الرئيسة ومعطيات تسجل حدودها القديمة والحديثة. فكان أن انبرى هذا البحث بهدف الاجابة قدر المستطاع على بعض هذه التساؤلات. ومحاولة سبر غور هذا المصطلح او المفهوم.

مشكلة البحث:

انطلاقا من التساؤلات اعلاه يمكن ايجاز مشكلة البحث في ايجاد او اعطاء تحديد جغرافي دقيق لما يُعرف بالبادية من حيث حدودها، اقسامها ، طبيعتها الجغرافية قديما وحديثا.

فرضية البحث:

اكتسبت البادية أهميتها التاريخية من موقعها الجغرافي المتميز بين مجموعة من عناصر الالتقاء الطبيعية والبشرية.

حدود البحث:

حُدد البحث باتجاهين رئيسين هما:

الحدود الزمانية:. لم تحدد بحدود معينة بل تركت مفتوحة لكي يمكن تتبع مادة البحث بحرية تعطي الهدف منها.

الحدود المكانية:. وهي من مشاكل البحث الرئيسة الا انه يمكن ان نحدد مكان الدراسة بالمنطقة المحصورة بين كلّ من غرب العراق ووسط سوريا وجنوبها والاردن وشمال المملكة العربية السعودية وغرب الكويت (خريطة١).

منهجية البحث:

تم الاعتماد على مجموعة من المصادر النظرية ومقارنتها بالخرائط القديمة والحديثة بالاستعانة بالأطالس الجغرافية وخرائط الجغرافيين العرب والمسلمين بهدف استقراء النصوص والاستنباط منها للتوصل الى حقيقة البادية .

خريطة (١): موقع منطقة الدراسة

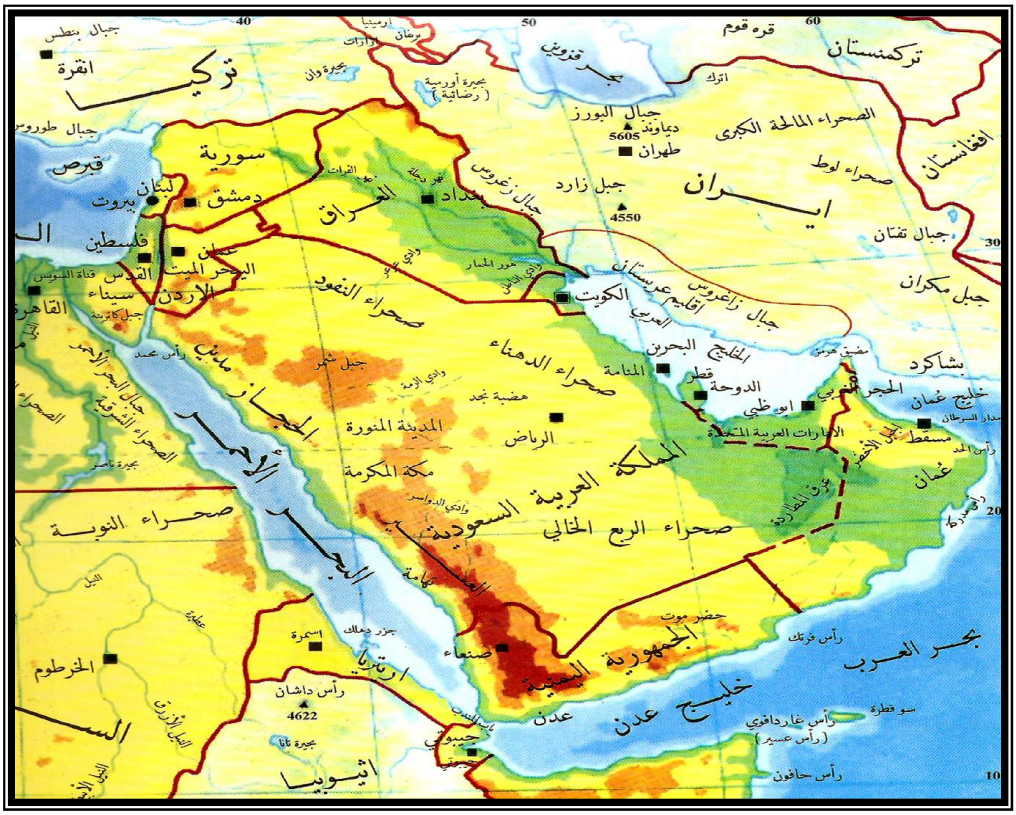

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على: مازن مغايري، موسوعة أطلس العالم، مطبعة الأيمان، دار الرضوان، سوريا، ص٣٤.

البادية لغة:

البادية والبِداوَةَ جمعُ باديات وبَوَاد وهي الصحراء، وهي خلاف الحضارة. وهي من الأصل بَدَا بُدَاوةٌ وبِدَاوةٌ وتبدّى خرج الى البادية اي اقام في البادية فصار بدويّاً[١].

والبادية ايضاً سُمّيت كذلك في اصل الوضع باديةً لبروزها وظهورها وهو من بدا لي كذا بدواً اذا ظهر[٢].

اما المفازة جمع مفازات ومفاوز معناها المَهْلكة وهي الفلاة لا ماء فيها. قيل ان ذلك مأخوذ من فوّز اي مات لأن المفازة مظنّةٌ للموت لخلوها من الماء وقيل سميت مفازة لان من خرج منها وقطعها فاز[٣]. وقد سمتها العرب مفازةً تفاؤلا باجتيازها، من ذلك يبدو ان البادية هي فضاء واسع فيه المرعى والماء ويغلب على من يعيش فيه التنقل والترحال وهو بخلاف

الحاضرة والحضر. اما المفازة فتطلق على كل قفر اي الارض الخالية من الماء والعشب والناس

الجزيرة العربية والبادية:

قبل الخوض في دراسة البادية لابدَ من تحديد مصطلح الجزيرة وعلاقتها بالبادية. فالجزيرة العربية مصطلح اطلقه الجغرافيون العرب والمسلمون على المنطقة الواقعة في اقصى الجنوب الغربي من قارة اسيا. وهي اشبه ما تكون بالجزيرة لأحاطتها بالمياه من جهات ثلاث، وهي من حيث المساحة تعد اكبر شبة جزيرة موجودة في العالم، اذ يبلغ طولها من خليج العقبة الى باب المندب (٢١٠٠) كم وعرضها من راس محمد في الطرف الجنوبي لشبة جزيرة سيناء حتى البصرة(١٣٠٠) كم وعرضها الجنوبي من باب المندب الى مسقط (٢٠٠٠) كم.

ان اطلاق الجغرافيين العرب على شبة جزيرة العرب هذه الصفة كان على سبيل التشبيه و المجاز وذلك لإحاطتها بالمياه من ثلاثة جوانب فضلا عن أنّهم قد عدوا نهر الفرات حدّاً رابعاً يمتد في الجهة الشمالية منها بالرغم من أنه يمكن أن يُعّد حداً لشبة جزيرة العرب ولا يمكن تشبيهه بالبحار المحيطة بها. ولذلك فان جزيرة العرب ومنطقة الهلال الخصيب الواقعة الى الشمال منها تمثل كتلة جيولوجية واحدة من الناحية الطبيعية لا يمكن فصلها. بل ان هذه المنطقة بالذات قد قامت بدور كبير في تفاعل الحضارات فيما بينها مثل حضارات وادي الرافدين وبلاد الشام ومصر وغيرها من الحضارات في المشرق والحضارات اليونانية والرومانية طوال العصور القديمة والوسطى[٤].

أصل التسمية:

لقد استمدت جزيرة العرب اسمها من اسم الاقوام الذين كانوا يعيشون فيها وهم (العرب) ويبدوا ان اقدم من اطلق عليهم هذا الاسم هم الاشوريون، فقد وردت اشارة اليهم في نص اشوري من ايام الملك شلمنصر الثالث الذي قاد سنة (٨٥٤) ق. م حملة على ملك دمشق وحلفائه[٥].

ويظهر من دراسة النصوص التي وردت فيها لفظة عرب ان المقصود بها الاعراب الذين كانوا يعيشون في البادية ولا سيما بادية الشام (اي بوادي جزيرة العرب الشمالية). اما اصل كلمة عرب فكما جاء في النصوص المسمارية الاشورية وان اختلفت الا انها تشير الى

اشتقاقها من مادةٍ واحدةٍ هي Arbi , Aribi , Arubu , Urbi والنسبة اليها Arbaia أو Arbaya بإضافة ياء النسبة الاشورية المائلة الى العربية[٦].

ويرى كثير من العلماء ان المهد الاول للعرب القدماء كان شبة الجزيرة العربية. و يؤيد هذا الرأي كل من ربيان الفرنسي وبروكلمان الالماني ودي غويه الهولندي ورايت الانكليزي. وهو من اصح الآراء واكثرها اتفاقاً مع حقائق التاريخ وهم يستدلون على صحة رأيهم بأن الهجرة كانت دائما تأتي من بلاد نجد والحجاز واليمن الى بلاد الشام والعراق (خريطة ٢). ويؤيد ذلك ايضاً الظواهر اللغوية واصطباغ ذلك بصبغة مشتركة هي (الصحراء) وحياة البداوة[٧].

وهناك تسميات اخرى اطلقت عليهم وعلى سكان البادية ومنها تسمية السراسنة (Les sarrazins). وهذه الكلمة جاءت من الكلمة اللاتينية (Saracenus) نقلاً عن اليونانية (sarakenos)، وقد ظهر هذا الاصطلاح للمرة الاولى في مؤلفات كُتّاب القرن الأول الميلادي.

خريطة (٢): الهجرات من الجزيرة العربية نحو الشمال

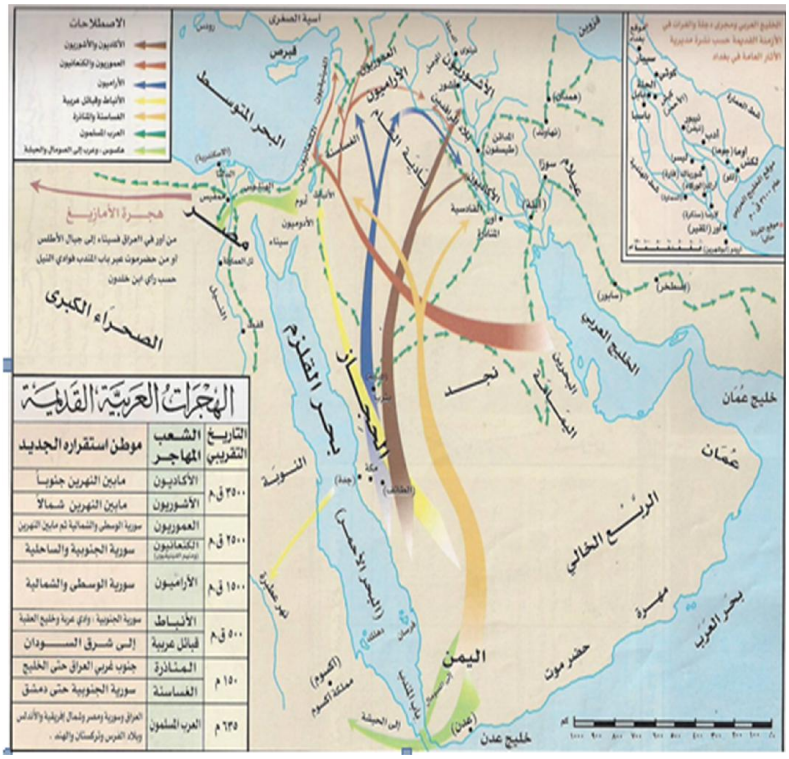

المصدر: شوقي ابو خليل، اطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠١، ص٥.

وقصدوا به البدو الذين كانوا يعيشون منذ ازمان طويلة على اطراف المناطق المزروعة ما بين النهرين، ويهددون طرق التجارة او يحمونها بتكليف من القوتين العظيمتين آنذاك (الرومان والفرس). ويدخل في التسمية الانباط واهل الحيرة وتدمر. والكلمة في اليونانية تعني ساكني الخيام[٨].

البادية والحضارات القديمة:

على الرغم من ان البادية كانت هي الطريق الذي سلكته هجرات الاقوام القديمة في نزوحها من الجنوب نحو الشمال. من جنوب وقلب شبة الجزيرة العربية (نجد) الى النقب ومؤاب وادوم على الحدود السورية وضفاف الفرات اليمنى في العراق. الا ان البادية بقيت خاليه من السكان الا بعض المستقرات التي اصبحت فيما بعد مدناً اكتسبت اهميتها من كونها محطات تجارية أمثال تيماء وتدمر وتبوك. (*) ولعل السبب في ذلك يرجع الى طبيعة البادية من حيث المناخ القاسي وندرة المياه عصب الحياة. وهذا بدوره جعل البادية في منأى عن الحضارات القديمة التي حكمت المنطقة وما جاورها . فالمتتبع لتاريخ المنطقة يجد ان معظم الحضارات ان لم يكن اغلبها امتدت لتشمل حدودها الاطراف الشمالية من البادية فقط مثل الدولة الاكدية والدولة البابلية والدولة الاشورية والدولة الكلدانية (خريطة ٣).

خريطة (٣): الامبراطوريات القديمة التي حكمت المنطقة

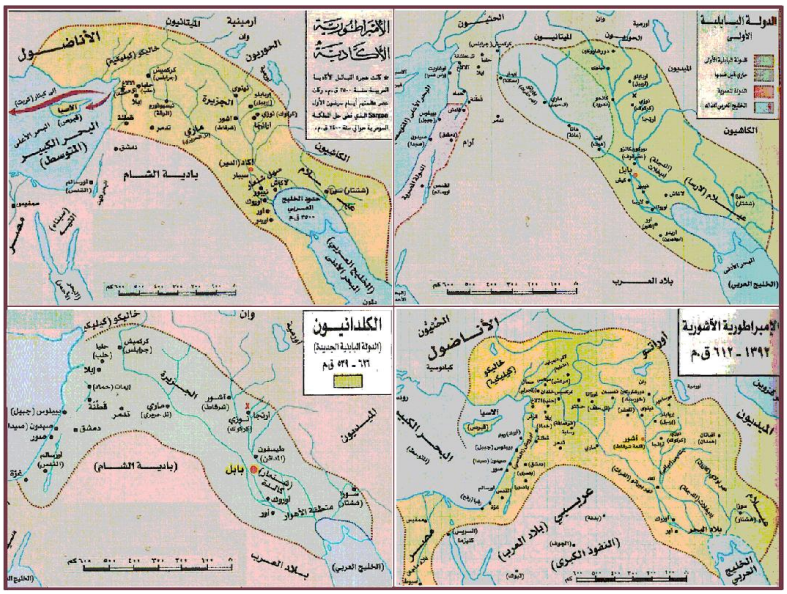

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على: شوقي ابو خليل، اطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠١.

ورغم عدم دخول البادية تحت سيطرة هذه الدول الا انها كانت ذات معرفة بها فكانت عند الأشوريين تعرف باسم (اربى) وعند البابليين (ما تو اربى) وعند السريان والفرس (اربايه) وهي تعني لديهم بلاد الاعراب[٩].

اما الامبراطوريتان اليونانية والرومانية فكانتا تقسّمان منطقة الجزيرة العربية وفق تقسيم سياسي لبلاد العرب في القرن الاول الميلادي، ومن ضمنه بادية العرب. فكانت تقسّم الجزيرة الى:

١- العربية السعيدة Arabia Fleix: ويشمل اليمن ومعظم اجزاء شبة الجزيرة

٢- العربية الصحراوية Arabia Deserta: لم يقوموا بتحديدها تحديداً دقيقاً الا انه يفهم من كتاباتهم انهم يقصدون بها البادية الواسعة التي تفصل بين العراق والشام.

٣- العربية الصخرية Arabia Petreae: وتشمل شبة جزيرة سيناء و مملكة الانباط.[١٠]

ولقد قامت بادية العرب والقبائل الساكنة فيها بدور كبير في صناعة التاريخ. فالإمارات التي شهدتها المنطقة عقب سقوط تدمر كالغساسنة والمناذرة والقبائل العربية الاخرى، كانت محط سجال وجدال في علاقتها مع الامبراطوريتين العظيمتين اللتين حكمتا المنطقة. وهما الامبراطورية الساسانية والامبراطورية البيزنطية[١١]. غير ان الشواهد التاريخية تؤكد عدم احكام هاتين الامبراطوريتين لسيطرتهما على منطقة البادية طوال تاريخهما، بل كانت هذه المنطقة مصدر قلق دائم لهما.

اما الحضارة العربية الاسلامية وجغرافيوها فقد أجروا تعديلاتهم على هذا التقسيم فقاموا باستبعاد العربية الصخرية من جهة وزاوجوا ما بين القسمين الاخرين في بعض الكتابات. او أبقوا عليها مع اجراء تعديلات طفيفة رافقها اعطاء تقسيم جديد للمنطقة اعتمد الجانب الجغرافي بالدرجة الاساس. فقُسّمت حسب السطح والمناخ الى (تهامة- الحجاز- نجد- العروض- اليمن). وتم الحاق البادية عند بعض الجغرافيين بنجد، في حين أفردها اخرون تحت تسمية البادية او المفازة.

البادية في كتب الجغرافيين العرب والمسلمين:

لقد عمد الجغرافيون العرب والمسلمون ومنهم بالذات الجغرافيون البلدانيين الى تقسيم العالم الاسلامي (مملكة الاسلام) الى مجموعة من الاقاليم تناظر في واقعها الدول والاقطار في الوقت الحاضر، وهي نظرة جغرافية مبكرة تنم عن اصالة وابداع في الجغرافية

الاقليمية[١٢]. وكان اليعقوبي على رأس هؤلاء الجغرافيين في كتابه البلدان[١٣]. ثم تبعه اصحاب المدرسة الكلاسيكية في الجغرافية وهم كل من البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي. تلاهم الادريسي بدوره البارز في الجغرافية بمزاوجته ما بين الاتجاهين الفلكي والاقليمي، فكان كتابة (نزهة المشتاق في اختراق الافاق) خير دليل على ذلك. وسنحاول هنا تتبع بادية العرب في كتب بعض هؤلاء الجغرافيين ، بقصد الاطلاع على حقيقة هذا الاقليم في مؤلفاتهم.

١- الاصطخري: قسّم العالم الاسلامي الى (٢٠) اقليماً وابتدأ بديار العرب والجزيرة العربية. وقد أدمج بادية العرب بجزيرة العرب فجعلها اقليماً واحداً اسماه ديار العرب. حدده بقوله (وابتدأت بديار العرب لأن القبلة بها ومكة فيها وهي ام القرى وبلد العرب واوطانهم التي لم يشركهم في سكناها غيرهم والذي يحيط بها بحر فارس (المحيط الهندي) من عبادان وهو مصب ماء دجلة في البحر فيمتد على البحرين حتى ينتهي الى عُمان ثم يعطف على سواحل مهرة وحضرموت وعدن حتى ينتهي على سواحل اليمن الى جدة ثم يمتد الى الجار ومدين حتى ينتهي الى آيله(*) ثم قد انتهى حينئذ حد ديار العرب من هذا البحر، وهذا المكان من البحر لسان يعرف ببحر القُلزُم (البحر الأحمر) فينتهي الى تاران وجبيلات الى القُلزُم فيقطع فهذا هو شرقي ديار العرب وجنوبيها وشيء من غربيها، ثم يمتد عليها من آيله الى مدينة قوم لوط والبحيرة المنتنة (البحر الميت) التي تعرف ببحيرة زُغر الى الشراة والبلقاء وهي من عمل فلسطين، واذرعات وحوران والبثنية والغوطة ونواحي بعلبك وذلك من عمل دمشق، وتدمر وسلّمية وهما من عمل حمص، ثم الخُناصرة وبالس وهما من عمل قنّسرين، وقد انتهينا الى الفرات ثم يمتد الفرات على ديار العرب حتى ينتهي الى الرقة وقر قيسيا والرحبة والدالية وعنة والحديثة وهيت والانبار الى الكوفة ومستفرغ مياه الفرات الى البطائح والاهوار) ثم تمتد ديار العرب على نواحي الكوفة والحيرة الى الخورنق وعلى سواد الكوفة الى حدّ واسط فتصاقب ما قارب دجلة عند واسط مقدار مرحلة ثم تمتد على سواد البصرة وبطائحها حتى تنتهي الى عبادان فهذا الذي يحيط بديار العرب).[١٤](خريطة ٤).

خريطة (٤): الجزيرة العربية عند الاصطخري (*)

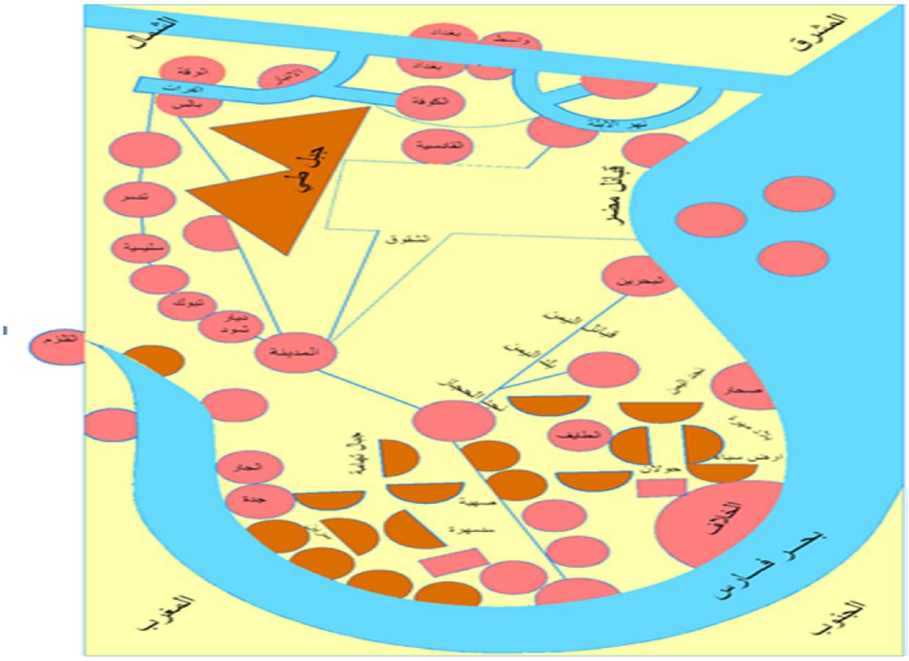

المصدر. احمد سوسة ،الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، ج١، مكتب صبري، ١٩٧٤، ص١٦٩.

(*). قام الباحث بإدخال الالوان بالاعتماد على الالوان المستخدمة في أطلس تأريخ الاسلام للدكتور حسين مؤنس .

وما يهمنا هنا هو الحد الشمالي لديار العرب فقد جعلها الاصطخري تنتهي بنهر الفرات اي انه جعل النهر يكون الحد الذي يفصل بين اقليم ديار العرب والاقليم الثاني وهو اقليم الجزيرة (جزيرة العراق) والاقليم الثالث وهو اقليم بلاد الشام.

٢- ابن حوقل: من أتباع المدرسة الكلاسيكية في الجغرافية العربية عاصر الاصطخري وتعلم منه[١٥]. ألف كتابه (صورة الارض) وفيه قسّم العالم الاسلامي الى(٢٢) اقليماً وجعل البادية جزءاً من اقليم ديار العرب (جزيرة العرب) فهي في رأيه اقليمٌ واحدٌ. ونجده يحددها بالحدود نفسها لدى الاصطخري. لا بل وبالنص نفسه كاملاً. لذلك لن نذكره تجنباً للتكرار. غير ان ما يلاحظ عند ابن حوقل انه يزيد في تفصيل الحدود الشمالية للبادية. فيقول (وما بقي من حد الغربي من آيلة الى بالس(**) فمن الشام وما كان من بالس الى عبادان فهو الحد الشمالي ومن بالس الى ان تجاوز الانبار فمن حد الجزيرة (اقليم الجزيرة العراقية) ومن الانبار الى عبادان فمن حد العراق (اقليم العراق)، ويتصل بارض العرب بناحية آيله برّيةٌ

تعرف بتيه بني اسرائيل (صحراء شبه جزيرة سيناء) وهي برّيةٌ وان كانت متصلة بديار العرب فليست من ديارهم وانّما كانت برّيةٌ بين ارض العمالقة واليونانية وارض القبط، وليس للعرب بها ماء ولا مرعى فلذلك لا تدخل في ديارهم)[١٦]. (خريطة ٥) وهنا نجده يستبعد البرّية من ارض العرب كما سبق واشرنا اليه في استبعاد الجغرافيين العرب لمنطقة العرب الصخرية.

المقدسي: من اعظم الجغرافيين البلدانيين العرب والمسلمين، من اتباع المدرسة الكلاسيكية في الجغرافية العربية ألف كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) وفيه قسّم العالم الاسلامي الى(١٤) اقليماً(٦) عربية و(٨) عجمية فضلاً عن افراده لإقليم خاص سماه بادية العرب (مجال البحث) يقول فيه (اعلم أن بين أقاليم العرب غير المغرب بادية ذات مياه وغدران وآبار وعيون وتلال ورمال وقرى ونخيل قليلة الجبال كثيرة العرب مخيفة السبل خفية الطرق طيبة الهواء ردية الماء ليس بها بحيرة ولا نهر الا الأزرق ولا مدينة الا تيماء).[١٧] وقد جعلها المقدسي اقليماً واحداً قائماً بذاته وليس كسابقيه وهذا مرده حسب قوله الى اهمية هذه المنطقة فيقول (ومن الناس من يعدها من الجزيرة وليست منها ومنهم من يجزئها على الاقاليم ومنهم من يجعلها من الشام وقد رأينا نحن ان نفرزها ونفرد صورتها لأن احداً من اهل الاقاليم الثلاثة عشر لا طريق له الى مكة في البر الا فيها ولا غنى له عن معرفتها وايضاً فان فيها مناهج لا تعرف ومياهاً قد تُجهل وفي ذكرها فوائد لا تحصى واجر وحسبة لا تخفى وقد سافرت فيها غير مره ومسحتها يمناً وشمالاً وشرقاً وغرباً وتفحّصت عن طرقها وسألت عن مياها وتبحرت في معرفتها حتى حزتُ الكثير من اسبابها وعرفت معظم طرقها).[١٨]

اما حدودها لديه فهي (وتخوم هذه البادية تأخذ من ويلة على مدائن قوم لوط وتصعد الى مآب ثم على تخوم عمّان واذرعات ورساتيق دمشق وتدمر وسلميّة واطراف حمص الى بالس ثم ترجع الى الفرات وتعطف على الرّقة والرحبة والدالية الى هيت والانبار ثم على الحيرة والقادسية ومغارب البطائح ثم على سواد البصرة الى عبادان ومنهم من اضاف الشراة اليها وادخل مدنها فيها وهذا اصح).[١٩] (خريطة ٦) ومن قراءة هذا النص نجد ان الحدود الشمالية للبادية تماثل حدود اقليم ديار العرب عند الجغرافيين السابقين (الاصطخري– ابن حوقل) فقد جعل بالس هي نهاية الحد الشمالي الذي تبدأ منه الحدود بالاستدارة نحو الفرات شرقاً. الا ان المقدسي قد انفرد باقتطاع البادية ليفردها بإقليم خاص بها. وهذا عمل لم يسبقه

اليه احد للأسباب التي ذكرها آنفاً. فضلاً عند ذلك فانه قد اضاف لمن قبله بان ادخل الشراة (من مدن شرق الجزيرة العربية) اليها.

خريطة (٥): جزيرة العرب عند ابن حوقل

المصدر. احمد سوسة، الشريف الإدريسي في الجغرافية العربية، ج١، مكتب صبري، ١٩٧٤، ص١٧٩.

(*). قام الباحث بإدخال الالوان بالاعتماد على الالوان المستخدمة في أطلس تأريخ الاسلام للدكتور حسين مؤنس.

٣- الادريسي: يمثل قمه ازدهار الجغرافية العربية، وهو جغرافي ذو شأن كبير لما اضافه الى خريطة العالم وهو من اشهر جغرافي العرب قاطبةً.[٢٠] ألف كتابه (نزهة المشتاق في اختراق الافاق)) ليكون ذروة ما تم تأليفه في الجغرافية العربية الاسلامية في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي. فجاء هذا الكتاب ليدمج بين المنهجين الفلكي والاقليمي في الجغرافية العربية.[٢١] لقد قام الادريسي بتقسيم الكرة الارضية او المعمور منها في وقته الى عشرة اقاليم عرضية ثم قسّم كل اقليم الى عشرة اجزاء ابتدأ بها من الغرب نحو الشرق.

خريطة (٦): بادية العرب عند المقدسي

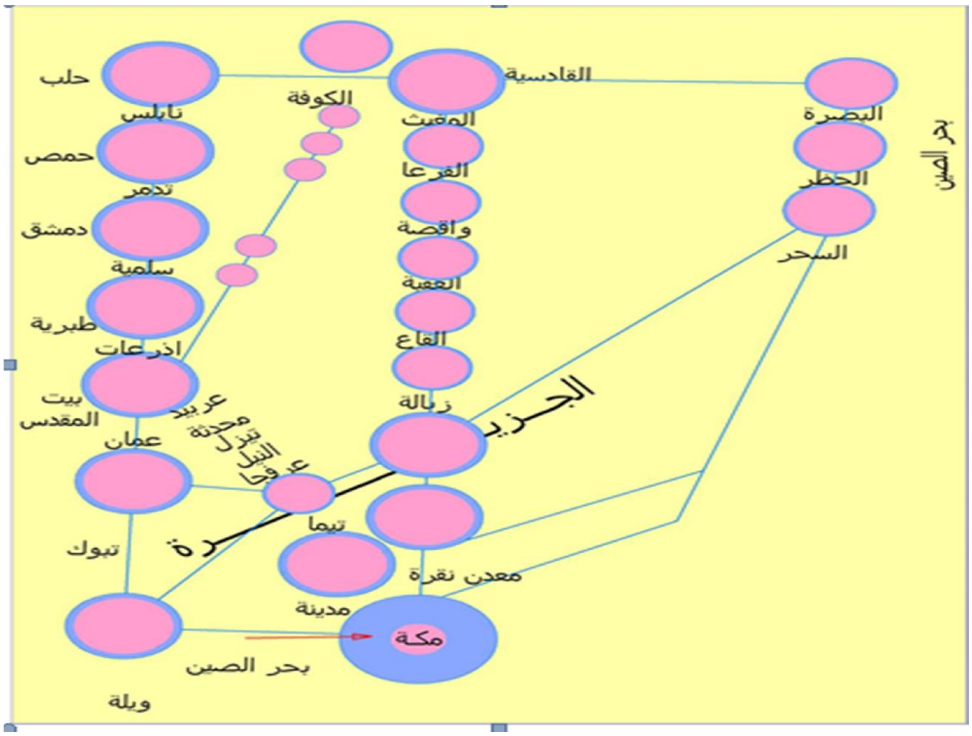

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على :

1-Konrad, Miller, Mappa Arbicae, Arabisch Welt– und Lander Karten, 1-v1, Stuttgart, 1927.

فكان من نتيجة ذلك ان تناثرت ديار العرب (ومنها البادية) بين ثلاثة اقاليم عرضية وخمسة اجزاء هي كالتالي:

١- الاقليم الثاني- الجزء الخامس: وفيه جزء من بحر القلزم وجزائره العامرة والخالية ومراسيه المشهورة والكور مثل السرين والسُقية وجده والجحفة والجار ومكة والطائف والمدينة وقديد وعيذاب[٢٢].

٢- الاقليم الثاني- الجزء السادس: وفيه قواعد البلاد المعلومة جرش وبيشة وتبالة وعكاظ و نجران وعلو يحصب وظفار ومأرب والشحر وسفل يحصب و شيام وحضرموت وصور وقلهارت ومسقط وصحار والعفر وسعال ومخ و سرّ عُمان وبتروت وهجر وحضرمة والقريتين و وجرة ورامة ومعدن النقرة وسُلمية وبرقة واضح وهجر وبيرمان الجيل وجلفار[٢٣].

٣- الاقليم الثالث- الجزء الخامس: وفيه بحر القُلزُم وفحص القسيمة وبعض البحر الشامي(المتوسط) بما عليها من المدن والمراسي والحصون العامرة وارض فلسطين والشام واسفل ارض الحجاز مع قطعة من غربي البادية(٢٤).

٤- الاقليم الثالث- الجزء السادس: واما البادية فأنها دار لفزارة وجُهينة ولخم وبلي وقبائل مختلطة من اليمن وربيعة ومضر واكثرها يمن بنو أسد والرمل المعروف بالهبير هو الرمل الذي بالشقوق الى الأجفر عرضاً وطولاً من وراء جبلي طيء الى ان يتصل بالبحر الفارسي (الخليج العربي) ويمضي من وراء جبلي طيء الى ان يرد الجفار من ارض مصر(٢٥).

٥- الاقليم الرابع- الجزء الخامس: وفيه من البلاد الشامية البرية فامية وحصن سُلمية وقنّسرين والقسطل وحلب والرصافة والرقة والرافقة وباجروان والجسر ومنبج(٢٦).

من خلال تقسيم الادريسي يمكن ملاحظة انه يفرّق ما بين ديار العرب (الجزيرة) والبادية الا ان طبيعة التقسيم الذي استعمله في رسم خرائطه لم يجعله يُفرد اقليماً خاصاً بالبادية. ومع ذلك يمكن ان نلاحظ ان معظم البادية قد وقع ضمن الاقليم الثالث- الجزء السادس. مما سبق نجد ان الجغرافيين العرب والمسلمين متفقون في الحدود الخارجية للبادية ولا سيما الشمالية منها الا انهم لم يفردوها بإقليم خاص باستثناء المقدسي.

البادية في المصادر الجغرافية الحديثة:

اذا ما اردنا ان نُعطي تحديداً لبادية العرب في الوقت الحاضر فإننا سنلاقي صعوبة كبيرة سببها ان هذا الاقليم قد الغي بسبب الاستعمار الغربي الذي جزّء المنطقة العربية الى مجموعة من الدول وحددها بحدودٍ مصطنعة كان الهدف منها تعزيز الاستعمار والهيمنة وعزل وفصل الروح العربية. فأصبح اقليم البادية مقسّماً بين خمسة دول هي العراق وسوريا والاردن والكويت والعربية السعودية(*) وبالتالي فقد اطلقت على البادية تسميات محلية مشتقة من الاسم الاصلي وهو البادية. ففي العراق يُطلق على القسم الغربي منه تسمية الهضبة الغربية وهي تقسم ايضاً الى قسمين هما البادية الشمالية من دائرة عرض ٣٢ شمالا وحتى نهر الفرات في محافظة الانبار والبادية الجنوبية من البصرة جنوباً وحتى دائرة عرض ٣٢ شمالا. اما في سوريا والاردن فيطلق عليها تسمية بادية الشام، وفي الكويت وهي تمثل الجزء الغربي

منها فيطلق عليها صحراء الدبدبة، وفي المملكة العربية السعودية يطلق على الجزء الشمالي منها تسمية صحراء النفوذ الكبرى.

الموقع الجغرافي: بناءً على ما سبق ومن خلال (الخريطة ٧) يمكن ملاحظة ان البادية تضم الاجزاء الغربية من العراق والجنوبية من سوريا والشرقية من الاردن والاجزاء الشمالية من العربية السعودية والغربية من الكويت.

خريطة (٧): الموقع الجغرافي لبادية العرب

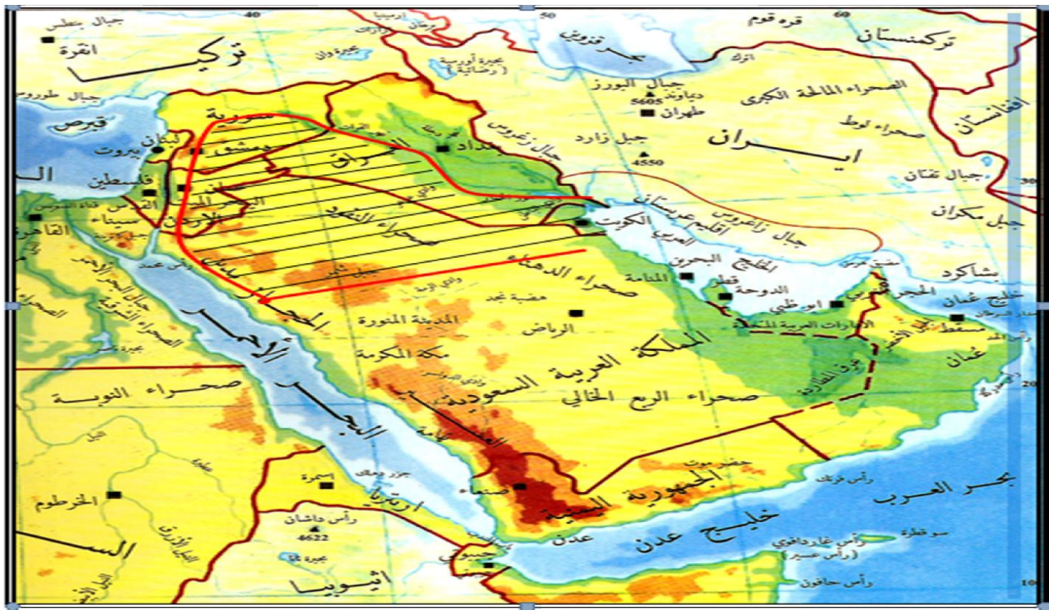

المصدر : عمل الباحث بالاعتماد على: مازن مغايري، موسوعة أطلس العالم، مطبعة الأيمان، دار الرضوان، سوريا، ص ٣٤.

الموقع الفلكي: من خلال ما وصفه الجغرافيون العرب والمسلمون من اوصاف للبادية والحدود التي اعتمدوها، يمكن ان نحددها وفق المعطيات السابقة ومقارنتها بالخرائط الحديثة في الاطالس الجغرافية بالموقع الفلكي التالي دائرتي عرض(٢٧– ٣٦) شمالاً وخطي طول(٣٥– ٤٩) شرقا.[**](خريطة ٨)

مناخ البادية:

يتميز المناخ بكونه جزءاً من اقليمين مُناخيين هما الاقليم المناخي الصحراوي والاقليم المناخي الموسمي او شبة الموسمي. لذلك فهو يمتاز بالتطرف والاختلاف الحراري السنوي واليومي الكبير[٢٧]. فتتراوح المتوسطات الحرارية السنوية فيها بين (١٨– ٢٠) مئوية،

ولكنها تنخفض في شهر كانون الثاني الى (٧– ٨) مئوية وترتفع صيفا الى(٢٩– ٣٢) مئوية[٢٨]. اما الامطار فإنها شحيحة اذ تسود الاحوال الصحراوية الجافة.

خريطة (٨): الموقع الفلكي لبادية العرب

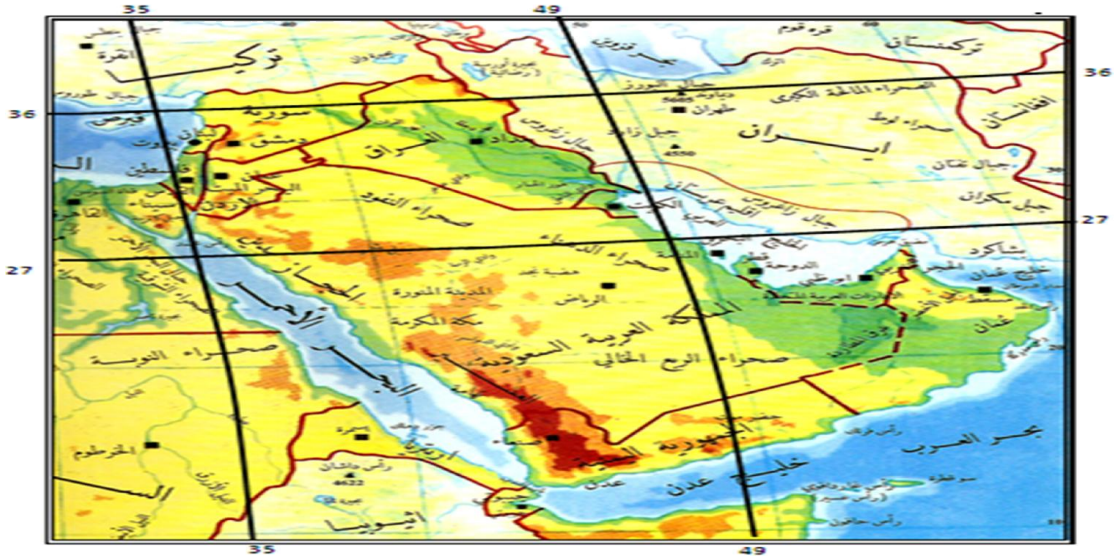

المصدر: عمل الباحث بالاعتماد على:

مازن مغايري، موسوعة أطلس العالم، مطبعة الأيمان، دار الرضوان، سوريا ، ص ٣٤.

المياه:

ان طبيعة المناخ التي مر ذكرها سابقاً قد انعكست بشكل سلبي على عنصر المياه في المنطقة . فلا نحد مياهاً سطحية لذلك فان الاعتماد اصبح بالدرجة الرئيسة على المياه الجوفية وما تمثله من عصب للحياة عن طريق العيون والابار، والتي باتت مراكز لتجمع السكان. ان الدراسات الجيولوجية حول المنطقة تشير الى امكانات هائلة في المياه الجوفية متمثلة بالخزانات المائية الجوفية . فحوض الباديتين الشمالية والجنوبية في العراق يمثل خزاناً هائلاً للمياه الجوفية وبإعماق لا باس بها (ام ارضمه ٥٠– ٦٠م) مثلاً، وحوض البادية في سوريا يصل اجمالي مساحته الى (٧٠,٠٠٠)كم^{٢} بمعدل تغذية حوالي (٦٠٠) مليون م^{٣}. وفي الاردن تحتل المنطقة الصحراوية وحدها (٤٩,٣) مليون م^{٣} من المياه، كما دلت الدراسات على احتواء التكوينات الجيولوجية للمملكة العربية السعودية كميات كبيرة من المياه الصالحة

للزراعة، لا بل ان لها خاصية اخرى هي خاصية الضغط الهيدروليكي التي ترفع المياه على شكل عيون الى الاعلى[٢٩].

البادية واقع وافاق:

ان البادية هي جزء من صحراء تمتد من شمالي المملكة العربية السعودية الى الفرات لتشمل بوادي الاردن والعراق وسوريا والكويت. وهي تقع في اطار ثلاث وحدات بنائية كبرى هي الصفيحة العربية ثم منخفض الفرات ومقعر الجبال الوسطى والتدمرية. وتتصف تضاريس الهضبة عامة بالانبساط مع تموجات في السطح تتخللها الاودية والمنخفضات الضحلة فضلاً عن التضاريس البركانية كالحرات[٣٠].

وهذه الظروف التضاريسية كان لها انعكاساتها على الجوانب الاخرى. فبسبب ظروف الجفاف فان الكثافة السكانية العامة في البادية لا تتجاوز شخص/ كم^{٢}، وان وجد السكان فهم يتوزعون في شكل مجموعات صغيرة ومتباعدة اساسها توفر المياه سواء كانت عيوناً او اباراً او ينابيع. وحول الواحات الطبيعية او الصناعية. لذلك فهم يتوزعون على الاطراف وهوامش البادية ، فنجدهم يتركزون في مدينة تدمر ثم السخنة والقريتين والطيبة والكوم ومعان والازرق في الاردن والرطبة والرويشد ومحطات ضخ النفط ومخافر الامن[٣١]. وهؤلاء لا يشكلون اعداداً كبيرة فهم لا يتجاوزون (٢٠٠,٠٠٠) الف نسمه . واغلب سكان البادية هم ممن يمتهنون الصناعات الحرفية المتعلقة بحياة البدو. الا ان البادية تبقى ذات شان كبير. فما تمتلكه من امكانات يجعلها ذات بعد استراتيجي مستقبلي للمنطقة كلها. فهي تمتلك كميات ضخمة من الفوسفات والنفط والغاز فضلاً عن خامات الاملاح الصخرية ورمل الزجاج. وبعض المعادن وان كانت بكميات غير اقتصادية. فضلاً عن ذلك فهي تشكل مراعي طبيعية واسعة، تساندها تربة ذات تركيب متوسط واذا ما استثمرت وفق الطرق الزراعية الحديثة بالاعتماد على مصادر الطاقة المتوافرة كالرياح والطاقة الشمسية وامكانية استخدامها في حصاد المياه. ولا سيما المياه الجوفية وتوليد الطاقة الكهربائية، اذ تمتلك البادية ساعات اشعاع وصلت الى ٣٧٠٠ ساعة سنويا في بادية الشام[٣٢].

الهوامش:

(١) لويس معلوف، المنجد في اللغة، ط ٣٥، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦، ص ٢٩-٣٠.

(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ط٣، م١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧، ص ٣٠٨.

(٣) لويس معلوف، المصدر السابق، ص ٥٩٩.

(٤) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٩٤، ص ١٦.

(٥) طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، مطبوعات دار المعلمين العالية، ١٩٥٦، ص١٨٧.

(6) Luckenbill. D.D, Ancient Records of Assyria and Babylonia, New york, Vol 2, 1968, P.p. 245- 247.

(٧) شوقي ابو خليل، اطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠١، ص٤.

(٨) س، أ بروزورث و جوزيف شاخت، تراث الاسلام، ترجمة مجموعة من الاساتذه، ج١، ط٢، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، ١٩٨٨، ص ٢٧.

(*) تيماء: بالفتح والمد- بُليد في اطراف الشام بين الشام ووادي القرى، على طريق حجاج الشام ودمشق.

(٩) تدمر: بالفتح ثم السكون، وضم الميم- مدينة قديمة مشهورة في برية الشام بينها وبين حلب خمسة ايام.

(١٠) تبوك: بالفتح ثم الضم، وواو ساكنة، وكاف: موضع بين وادي القرى و الشام ... وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب الى النبي محمد (صلى الله عليه وسلم).

(١١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج١، بدون تاريخ، ص ١٦٣، ص ١٦٦.

(١٢) هاشم يحيى الملاح، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، مصدر سابق، ص ١٨- ص ١٩.

(١٣) صالح احمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ج١، دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٥٤، ص ٥٧- ص٦٠.

(١٤) عواطف طه العاني، منهج الجغرافيين البلدانيين في الجغرافية الاقليمية في القرن العاشر الميلادي، اطروحة دكتوراه، غير منشورة ، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢، ص ١٥.

(١٥) خالص الاشعب، اليعقوبي، دار الشؤون الثقافية العامة، مطابع دار الشؤون، بغداد، ١٩٨٨، ص ٥.

(*) مدينة على البحر الاحمر (خليج العقبة) وهي تقابل حالياً ميناء ايلات (الكيان الصهيوني).

(١٦) ابو القاسم ابراهيم بن محمد الاصطخري، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧، ص ١٢، ص١٣.

(١٧) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢ ، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢١٧.

(**) بلدة في الشام بين حلب والرقة على نهر الفرات (قرب مسكنة حاليا).

(١٨) ابو القاسم محمد بن علي ابن حوقل، صورة الارض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن ١٩٣٨، ص ١٩.

(١٩) محمد بن احمد المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩، ص ٢٤٨.

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٨.

(٢١) المصدر نفسه، ص ٢٥٢.

(٢٢) عبد الرحمن حميدة ، اعلام الجغرافيين العرب، ط٢، دار الفكر، سوريا، بلا تاريخ، ص ٣٩٠.

(٢٣) صلاح ياركة ملك، الفكر الجغرافي في كتاب نزهة المشتاق في اختراق الافاق للإدريسي، رسالة ماجستير ، غير منشورة ، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ١٧.

(٢٤) ابي عبد الله محمد بن محمد الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، م١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٣٢.

(٢٥) المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(٢٦) المصدر نفسه، ص ٣٤٧.

(٢٧) ابي عبد الله محمد بن محمد الادريسي، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، م٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩، ٣٨٠.

(٢٨) المصدر نفسه، ص ٦٤٣.

(٢٩) جودت حسين جودت، شبة الجزيرة العربية، دراسة في الجغرافية الاقليمية، مطبعة التقدم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤، ص ١٦– ١٧.

(٣٠) شاهر جمال اغا، بادية الشام، بحث على الانترنيت.

(٣١) مغاوري شحاته دياب، مستقبل المياه في العالم العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠، ص١٠٢– ١٢٩ .

(٣٢) شاهر جمال اغا، بادية الشام، مصدر سابق.

(٣٣) المصدر نفسه .

(٣٤) خطاب صكار العاني وابراهيم عبد الجبار المشهداني، جغرافية الوطن العربي، ط٢، دار الكتب للطباعة النشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩، ص ٩٦.

المصـادر والمـراجـع:

١-ابن حوقل، ابي القاسم محمد بن علي، صورة الارض، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨.
٢-ابو خليل، شوقي، اطلس التاريخ العربي الاسلامي، دار الفكر، سوريا، ٢٠٠١.
٣- الادريسي، ابي عبد الله محمد بن محمد، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، م ١، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٩.
٤-ـــــــــــــــ، نزهة المشتاق في اختراق الافاق، م٢، دار الكتب، بيروت، ١٩٨٩.
٥-الاشعب، خالص، اليعقوبي، دار الشؤون الثقافية العامة، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.
٦- الاصطخري، ابو القاسم ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧.
٧- اغا، شاهر جمال، بادية الشام، بحث على الانترنيت.
٨- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، مطبوعات دار المعلمين العالية، ١٩٥٦.
٩- بروزورت، س، وشاخت، جوزيف، تراث الاسلام، ترجمة مجموعة من الأساتذة، ج١، ط٢، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، ١٩٨٨.
١٠- جودت، حسين جودة، شبة الجزيرة العربية- دراسة في الجغرافية الاقليمية، مطبعة التقدم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤.
١١- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط٢، م١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧.
١٢- حميدة، عبد الرحمن، اعلام الجغرافيين العرب، ط٢، دار الفكر، سوريا، بلا تاريخ.
١٣- دياب، مغاوري شحاته، مستقبل المياه في العالم العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مص، ٢٠٠٠.
١٤- سوسة، احمد، الشريف الاريسي في الجغرافية العربية، ج١، مكتبة صبري، ١٩٧٤.
١٥- العاني، خطاب صكار والمشهداني، ابراهيم عبد الجبار، جغرافية الوطن العربي، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩.
١٦- العاني، عواطف طه، منهج الجغرافيين البلدانيين في الجغرافية الاقليمية في القرن العاشر الميلادي، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.
١٧- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب، ج١، بلا تاريخ.
١٨- العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٥٤.
١٩- كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٧.
٢٠- معلوف، لويس، المنجد في اللغة، ط٣٥، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦.
٢١- مغايري، مازن، موسوعة اطلس العالم، مطبعة الايمان، دار الرضوان، سوريا، بلا تاريخ.
٢٢- المقدسي، محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩.

٢٣- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٤ .

٢٤- ملك، صلاح ياركة، الفكر الجغرافي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق للإدريسي، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٠.

٢٥- هومل، فرتزل، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، القاهرة، ١٩٥٨.

26- D.D.Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babyl onia, Newyork, Vol 2, 1988.

27- Miller, Konrad, Mappa Arbicae, Arabisch Welt- und Lander Karten, 1-v1, Stuttgart, 1927.

٢٨- الاشعب، خالص، اليعقوبي، دار الشؤون الثقافية العامة، مطابع دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨.

٢٩- الاصطخري، ابو القاسم ابراهيم بن محمد، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٢٧.

٣٠- اغا، شاهر جمال، بادية الشام، بحث على الانترنيت.

٣١- باقر، طه، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج٢، مطبوعات دار المعلمين العالية، ١٩٥٦.

٣٢- بروزورت، س، وشاخت، جوزيف، تراث الاسلام، ترجمة مجموعة من الأساتذة، ج١، ط٢، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الوطن، الكويت، ١٩٨٨.

٣٣- جودت، حسين جودة، شبة الجزيرة العربية- دراسة في الجغرافية الاقليمية، مطبعة التقدم، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٤.

٣٤- الحموي، ياقوت، معجم البلدان، ط٢، م١، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٧.

٣٥- حميدة، عبد الرحمن، اعلام الجغرافيين العرب، ط٢، دار الفكر، سوريا، بلا تاريخ.

٣٦- دياب، مغاوري شحاته، مستقبل المياه في العالم العربي، الدار العربية للنشر والتوزيع، مص، ٢٠٠٠.

٣٧- سوسة، احمد، الشريف الاريسي في الجغرافية العربية، ج١، مكتبة صبري، ١٩٧٤.

٣٨- العاني، خطاب صكار والمشهداني، ابراهيم عبد الجبار، جغرافية الوطن العربي، ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٩.

٣٩- العاني، عواطف طه، منهج الجغرافيين البلدانيين في الجغرافية الاقليمية في القرن العاشر الميلادي، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

٤٠- علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب، ج١، بلا تاريخ.

٤١- العلي، صالح احمد، محاضرات في تاريخ العرب، ج ، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٥٤.

٤٢- كراتشكوفسكي، اغناطيوس يوليانوفتش، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، ط٢، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٩٨٧.

٤٣- معلوف، لويس، المنجد في اللغة، ط٣٥، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٦.
٤٤- مغايري، مازن، موسوعة اطلس العالم، مطبعة الايمان، دار الرضوان، سوريا، بلا تاريخ.
٤٥- المقدسي، محمد بن احمد، احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، ط٢، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٠٩.
٤٦- الملاح، هاشم يحيى، الوسيط في تاريخ العرب قبل الاسلام، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٩٤ .
٤٧- ملك، صلاح ياركة، الفكر الجغرافي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الافاق للإدريسي، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة الموصل، ١٩٩٠.
٤٨- هومل، فرتزل، التاريخ العام لبلاد العرب الجنوبية، القاهرة، ١٩٥٨.
49- D.D.Luckenbill, Ancient Records of Assyria and Babyl onia, Newyork, Vol 2, 1988.
50- Miller, Konrad, Mappa Arbicae, Arabisch Welt- und Lander Karten, 1-v1, Stuttgart, 1927.